

مجلة جامعة الشارقة

دورية علمية محكمة

للعلم
الشرعية
والدراسات
الإسلامية



المجلد 16، العدد 2

ربيع الثاني 1441 هـ / ديسمبر 2019 م

الترقيم الدولي المعياري للدوريات 2616-7166

الكلام المحكي على ألسنة الخلق في القرآن الكريم وعلاقته بكلام الله

أحمد حسين الشيباب

كلية الآداب - جامعة الملك فيصل

الهفوف - المملكة العربية السعودية

تاريخ القبول: 2018-06-20

تاريخ الاستلام: 2017-12-21

ملخص البحث:

تناولت هذه الدراسة كلام الخلق الوارد في القرآن الكريم وعلاقته بكلام الله تعالى، من حيث إسناد الكلام، أهو الله أم لمن أنشأه ابتداءً؟ ومن حيث معرفة إن كان الكلام المحكي مخلوقاً أم لا؟ ومن حيث إن كان الكلام المحكي ذُكر في القرآن الكريم بالمعنى أم باللفظ؟ ومن حيث إن كان معجزاً أم لا؟ وأخيراً من حيث إمكانية الاستفادة من الحكم والفوائد الموجودة في الكلام المحكي، وما يتبع ذلك من مسائل أخرى في ذات الموضوع. لذا جاءت هذه الدراسة بهدف بيان وكشف اللبس الحاصل من مسألة تداخل الكلام المحكي على ألسنة بعض الخلق الوارد في القرآن الكريم مع كلام الله -تعالى- ذاته. فتبين أنّ الكلام المحكي في القرآن الكريم نُقل بمعناه ومحتواه، وأما اللفظ القرآني وأسلوب صياغته فهو الله تعالى، وليس لقائله أي فضل فيه. وقد تفرّغ عن هذه النتيجة كثير من المسائل التي أجابت عنها الدراسة في هذا البحث.

الكلمات الدالة : الكلام المحكي، كلام الله، إعجاز، فوائد وحكم.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد :

فإن من صفات القرآن الكريم أنه مبين، قال -تعالى-: (قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (15) - سورة المائدة، ذلك يعني أنه مبين لكل ما يحتاجه الناس في دينهم ودنياهم، وأن ما يحصل من لبس في فهمه فهو يرجع إلى سوء تقديرنا في فهمه وتفسيره.

ومن المسائل التي تخطئها بعض أفهام الناس، مسألة تشابك وتداخل كلام الخلق الوارد في القرآن الكريم مع كلام الله، وحقيقة إسناده أهو الله -تعالى- أم لقائله ابتداء؟ وما يتبع ذلك من مسائل شائكة تتعلق بذات الموضوع، لذا فقد جاء هذا البحث للتحقيق في مثل هذه المسائل، وكشف اللبس الحاصل فيها، وما يتبع ذلك من شبهات عند من يحاول استغلال مثل هذه المسائل التي قد تخفى على كثير من الناس.

أسئلة الدراسة :

السؤال الرئيس: ما علاقة الكلام المحكي على السنة الخلق الوارد في القرآن الكريم بكلام الله -تعالى-؟ ويتفرع عنه الأسئلة الآتية:

1. هل الكلام المحكي يأخذ نفس صفات كلام الله، لكونه ورد في القرآن الكريم؟
2. هل نُقل الكلام المحكي باللفظ أم بالمعنى؟
3. هل الكلام المحكي معجز أم لا؟
4. هل يصح اعتبار الحكم والفوائد الموجودة في الكلام المحكي، قواعد صحيحة، لكونها وردت في القرآن الكريم؟

أهداف البحث :

1. بيان علاقة الكلام المحكي على السنة الخلق الوارد في القرآن الكريم، بكلام الله تعالى.
2. كشف اللبس الحاصل من مسألة تداخل الكلام المحكي مع كلام الله .
3. بيان ما إذا كان الكلام المحكي معجزاً أم لا؟
4. توضيح الموقف من الحكم والفوائد الموجودة في الكلام المحكي .

الدراسات السابقة :

بعد البحث والتقيب لم يجد الباحث أية دراسة سابقة مستقلة تتعلق بموضوع البحث، وكل ما وجدته الباحث هو معلومات متناثرة في بطون الكتب، من أهمها: كتاب الفتاوى لابن تيمية، وكتاب الاتقان في علوم القرآن للسيوطي، وكتاب النبأ العظيم لمحمد عبد الله دراز، وكتاب البرهان في علوم القرآن للزركشي، وكتاب دلائل الإعجاز للجرجاني، وبعض كتب التفسير.

منهجية البحث :

اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الاستنباطي، وذلك من خلال استحضار الشواهد العلمية والمنطقية من القرآن الكريم والسنة وأقوال العلماء المتنوعة للوصول إلى النتائج العلمية المرجوة.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن يكون في مقدمة ومبحثين وخاتمة، على النحو الآتي:

المقدمة: وقد احتوت على تمهيد، وبيان مشكلة البحث، وهدف البحث.

المبحث الأول: التحقق من قرآنية كلام الخلق الوارد في القرآن الكريم، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المقصود بالكلام المحكي على ألسنة الخلق الوارد في القرآن الكريم

المطلب الثاني: علاقة الكلام المحكي في القرآن الكريم بكلام الله -تعالى- .

المطلب الثالث: التحقق من نقل الكلام المحكي في القرآن الكريم الدائر بين اللفظ والمعنى

المبحث الثاني: علاقة كلام الخلق الوارد في القرآن الكريم بالإعجاز واستنباط الفوائد، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الإعجاز في الكلام المحكي على ألسنة من ذكرهم القرآن في آياته

المطلب الثاني: تنقل الكلام المحكي من موضع لآخر في القرآن الكريم

المطلب الثالث: استنباط الحكم والفوائد من كلام الخلق الوارد في القرآن الكريم على أساس أنها مسلمات قرآنية ؟

الخاتمة: النتائج والتوصيات

المبحث الأول: التحقق من قرآنية كلام الخلق الوارد في القرآن الكريم

يشكّل على الكثير ذلك التداخل الحاصل من مسألة إسناد الكلام المحكي على ألسنة الخلق الوارد في القرآن الكريم، أهو الله (لكونه ورد في القرآن الكريم) أم لمن أنشأه ابتداء (لكونه هو صاحبه الذي أنشأه ابتداء)، كقوله -تعالى-: (لَئِنْ أَتَيْتُمْ شَعْبًا مِنْكُمْ إِذَا لَخِيسْرُونَ (90)- سورة الأعراف. فالى من نسند الكلام هنا؟ لله أم إلى قوم شعيب؟ ومن هو المسؤول عن هذا الكلام؟ هذا مع يقيننا بأن هذا الكلام هو قرآن، وهو جزء من آية، وأن الله -تعالى- لا يمكن أن يحرّضنا على معارضة شعيب، بل هو من بعثه، وهو من أمرنا باتباعه، وأن الذين كفروا من قوم شعيب هم من أنشأوا هذا الكلام، لكن يبقى الإشكال حاضرا بقوة في مسألة التداخل بين المسؤوليتين عن هذا الكلام.

ولحل الإشكال نتابع التفصيل لهذه المسألة في المطالب الآتية:

المطلب الأول: المقصود بالكلام المحكي على ألسنة الخلق الوارد في القرآن الكريم

قبل الحديث عن الكلام المحكي على ألسنة الخلق في القرآن الكريم لا بد من بيان معنى الكلام على العموم، ومعنى كلام الله -تعالى- على الخصوص.

الكلام، جمع كلمة وهو « اسم جنس يقع على القليل والكثير »⁽¹⁾ «وقيل الكلام ما كان مُكْتَوِيًّا بنفسه وهو الجملة»⁽²⁾

وقد أحسن الراغب عندما عرّفه بأنّه « ما يقع على الأنفاظ المنظومة وعلى المعاني التي تحتها مجموعة»⁽³⁾

وكلام الله -تعالى- الوارد في القرآن الكريم يشمل اللفظ والمعنى جميعا⁽⁴⁾، «فالكلام» جنس شامل لكل كلام، وإضافته إلى الله تميزه عن كلام من سواه من الإنس و الجن والملائكة»⁽⁵⁾. إذ هو صفة له وقع فيه الإعجاز، بينما كلام الخلق ليس كذلك البتة.

- (1) محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، مختار الصحاح، تحقيق محمود خاطر، ص: 240
- (2) محمد بن مكرم بن منظور الأفرريقي المصري، لسان العرب، (بيروت: دار صادر)، ط 1، ج: 12، ص: 522، حرف الميم
- (3) الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني أبو القاسم، مفردات ألفاظ القرآن، (دمشق: دار القلم)، ج: 2، ص: 316
- (4) تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني (ت: 728هـ)، مجموع الفتاوى، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار، (دار الوفاء، 1426 هـ، 2005 م)، ط 3، ج: 6، ص: 533
- (5) محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، (الدوحة: دار الثقافة، 1985 م)، ص 14

أما الكلام المحكي على السنة الخلق في القرآن الكريم فالمقصود منه، هو ذلك الكلام الذي أنشأه قائلوه في زمن التلفظ به، ثم نقله الله -تعالى- عنهم وضمّنه في كتابه العزيز. وهؤلاء إما أن يكونوا بشرا، كقوله -تعالى-: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ) (4)- سورة الفرقان. أو يكونوا من الجن كقوله -تعالى-: (قَالَ عَفَرَيْتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ) (39)- سورة النمل. أو من الملائكة، والدواب، والشياطين والجمادات، والقرآن مليء بذلك.

وهنا سرعان ما يتبادر إلى الذهن مسألة وشبهة التداخل بين كلام الخالق والمخلوق، لأنّ كلام الخالق صفة له غير مخلوق، وكلام الخلق مخلوق، وكلام الله معجز، بينما كلام الخلق ليس كذلك.

وسبب هذا الإشكال هو إسناد الكلام المحكي على السنة الخلق في القرآن أهو الله -تعالى- كونه ورد في القرآن الكريم، أم إلى الخلق الذين نُقل عنهم الكلام؟ كل هذه الإشكالات وغيرها سيتم الإجابة عنها في المباحث القادمة إن شاء الله تعالى.

المطلب الثاني: علاقة الكلام المحكي في القرآن الكريم بكلام الله -تعالى- .

يتساءل البعض عند تلاوة بعض آيات القرآن الكريم التي تنتقل أقوال بعض السابقين وأقوال الجن والملائكة والدواب والجمادات وغيرها، عن إسناد الكلام، أهى الله -تعالى-؟ - لكون هذه الأقوال جاءت في القرآن الكريم - أم لأصحابها، لأنهم هم من أنشأوها ابتداء؟ كقولك مثلا: قال -تعالى-: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ) (26)- سورة فصلت، فإلى من يسند الكلام هنا؟ وهل يصح أن يكون هذا من كلام الله تعالى؟ ولو كان من كلام الله فهل معنى ذلك أنّ الله -تعالى- يدعو عباده أن لا يسمعو للقران مثلا؟ وفي المقابل إذا كان هذا من قول البشر ويسند اليهم، فلماذا نسند الكلام إلى الله -تعالى- عند ذكر كلامهم؟ مما يوحي بنسبة كلامهم إلى الله تعالى.

هذه المسألة من المسائل المهمة جدا، فعلى الرغم من عدم ذكر العلماء لهذه المسألة إلا بالنزر اليسير في كتبهم، إلا أنهم بحثوا مسألة شبيهة جدا بهذه المسألة، وهي مسألة الشبهة الناتجة من تداخل كلام الذي يتلو القرآن بصوته وبين كلام الله -تعالى- نفسه.

وحتى نحل هذا الإشكال لا بد من التطرق إلى المسائل الآتية:

المسألة الأولى: إسناد التلاوة المتلوة بصوت القارئ

هذه المسألة من المسائل المشابهة لما نتحدث عنه، لما فيها من التطابق في صورها،

وقد تطرق لها ابن تيمية -رحمه الله- باستفاضة، وأوجز الحديث عنها فقال: «فَإِنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ تَكَلَّمَ بِهِ بِلَفْظِهِ وَمَعْنَاهُ بِصَوْتِ نَفْسِهِ؛ فَإِذَا قَرَأَهُ الْقُرَّاءُ قَرَعُوهُ بِأَصْوَاتِ أَنْفُسِهِمْ. فَإِذَا قَالَ الْقَارِئُ: { الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } { الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ } كَانَ هَذَا الْكَلَامُ الْمَسْمُوعُ مِنْهُ كَلَامُ اللَّهِ لَا كَلَامَ نَفْسِهِ وَكَانَ هُوَ قَرَأَهُ بِصَوْتِ نَفْسِهِ لَا بِصَوْتِ اللَّهِ فَالْكَلامُ الْكَلَامُ الْبَارِي وَالصَّوْتُ صَوْتُ الْقَارِئِ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ -تعالى- عَلَيْهِ وَسَلَّمَ { زَيَّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ } (1) وَكَانَ يَقُولُ: { أَلَا رَجُلٌ يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِهِ لِأُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي؟ فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي } (2) وَكِلَا الْحَدِيثَيْنِ ثَابِتٌ قَبِيحٌ أَنَّ الْكَلَامَ الَّذِي يُبَلِّغُهُ كَلَامَ رَبِّهِ وَبَيَّنَّ أَنَّ الْقَارِئَ يَقْرُؤُهُ بِصَوْتِ نَفْسِهِ» (3).

وذكرت اللجنة الدائمة للإفتاء هذه المسألة بكل وضوح فقالت: «الكلام يطلق على اللفظ والمعنى، ويطلق على كل واحد منهما وحده بقريضة. وناقله ممن تكلم به من غير تحريف لمعناه ولا تغيير لحروفه ونظمه: مُخَبَّرٌ مُبَلَّغٌ فَقَطْ، والكلام إنما هو لِمَنْ بَدَأَهُ. أَمَّا إِنْ غَيَّرَ حُرُوفَهُ وَنَظَمَهُ مَعَ الْحَافِظَةِ عَلَى مَعْنَاهُ، فَيُنَسَبُ إِلَيْهِ الْلفظُ: حُرُوفُهُ وَمَعْنَاهُ، وَيُنَسَبُ مِنْ جِهَةِ مَعْنَاهُ إِلَى مَنْ تَكَلَّمَ بِهِ ابْتِدَاءً. وَمَنْ ذَلِكَ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ عَنِ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ، كَقَوْلِهِ -تعالى-: (وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّي عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِّنْ كُلِّ مُنْكَبِرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ) سورة غافر: 27، وقوله: (وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمُنُ آتِينَ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَشْبَابِ) سورة غافر: 36.

فهاتان تسميان قرآنًا، وتنسبان إلى الله كلامًا له باعتبار حروفهما ونظمهما؛ لأنهما من الله لا من كلام موسى وفرعون؛ لأنَّ النظم والحروف ليس منهما، وتنسبان إلى موسى وفرعون باعتبار المعنى، فإنه كان واقعاً منه» (4).

وخلاصة الكلام أنَّ القارئ ليس له من الكلام الذي يقرأه شيء سوى الصوت والحركات، فهو مبلغ وحسب، لأنه نقل كلاماً بلفظه ومعناه، فلا يسند منه إليه شيء سوى الصوت، فالصوت صوت القارئ والكلام كلام الباري.

(1) محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي البخاري، صحيح البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، (بيروت: اليمامة - دار ابن كثير، 1407هـ - 1987م)، ط 3، كتاب التوحيد، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم (الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة)، ج: 6، ص: 2742، رقم: 4653

(2) محمد بن عيسى أبو عيسى السلمى الترمذي، الجامع الصحيح سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، كتاب فضائل القرآن، باب 24، ج: 5، ص: 184، رقم الحديث: 2925، قال الألباني: حديث صحيح

(3) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج: 12، ص: 53

(4) اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، مجلة البحوث الإسلامية، العدد: 43، ج: 43، ص: 92

المسألة الثانية: هل الكلام المحكي على ألسنة المخلوقين الوارد في القرآن، مخلوق؟

ومن الإشكاليات التي تحدث في هذه المسألة، مسألة أنّ كلام البشر مخلوق، وكلام الله -تعالى- ليس بمخلوق، إذ كيف يمكن أن يتضمن القرآن الكريم كلام البشر وغيرهم وهو مخلوق، وعندما نقرأه في القرآن نقول أنه ليس مخلوقاً؟ بمعنى، كيف يصح أن نقول: أن قول فرعون - مثلاً - : (أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى) الوارد في القرآن، ليس مخلوقاً؟⁽¹⁾

للإجابة عن هذا الإشكال فإنّه لا بد من التذكير بما تم التوصل إليه سابقاً، وهو أنّ الكلام المحكي على ألسنة المخلوق الوارد في القرآن الكريم، ينسب إلى الله -تعالى- من جهة لفظه ومعناه، وينسب إلى من أنشأه وابتدأه من جهة المعنى فقط.

وهذا يعني أنّ الكلام المحكي في القرآن يمكن أن ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: وهو كلام المخلوقين، فهؤلاء عندما تكلموا وأنشأوا كلامهم وتكلموه بأصواتهم، تلاشى هذا الكلام بحينه وأصبح - فعلياً - غير موجود، لأنّ ذبذبات أصواتهم تلاشت تماماً، وما عاد بالإمكان لمن جاء بعدهم إدراك شيء من هذا الكلام، وكلامهم هذا- بالإجماع - كلام مخلوق.

القسم الثاني: كلام الله -تعالى- الذي نقل كلام أولئك السابقين. فالله -تعالى- نقل كلام أولئك بعد أن تلاشى، وتطاولت عليه الأزمان وأصبح لا شيء، فالله -تعالى- نقله بلفظه هو ونظمه هو وصوته هو الذي يختلف عن ألفاظ وأصوات ونظم من تكلموا به سابقاً. علماً أنّ لفظ الله ونظمه لم يغير المعنى من كلامهم مطلقاً - فعندما نقول قوله -تعالى-: (وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمُنُ آئِنَ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ) سورة غافر: 36. فاللفظ هنا لله ونظم الكلام لله، قاله الله -تعالى- بنفسه وصوت نفسه، فأعاد كلام فرعون الذي تلاشى في الفضاء منذ آلاف السنين بلفظ يختلف عن لفظ فرعون، ولكنه يعبر عن معناه تماماً، فكلام الله هذا هو الله -تعالى- لا لفرعون ولكنه يعبر عن مراد فرعون عندما قاله في حينه، وهنا يمكن أن نقول أن كلام الله هذا ليس بمخلوق لأنه ينسب إلى الله -تعالى- ولا ينسب إلى أحد من خلقه - وإن كان ينقل مرادهم عندما تكلموا به - تماماً كمن يقرأ القرآن من المقرئين، فالكلام كلام الله وهو ليس بمخلوق، وأما صوتهم بالقرآن فينسب إليهم وهو مخلوق، يقول ابن تيمية: (فَالْإِنْسَانُ وَجَمِيعُ مَا يَقُومُ بِهِ مِنَ الْأَصْوَاتِ وَالْحَرَكَاتِ وَغَيْرِهَا مَخْلُوقٌ كَائِنٌ

(1) ليس من مهمة بحثنا الولوج في معترك مسألة خلق القرآن وكلام الله، فهي قضية واسعة بسطت في موضعها و تحتاج أبحاث مطولة، ولمن أحب الزيادة ينظر مسألة خلق القرآن ومذهب السلف فيها عند ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج: 12 ، ص: 37 ، وينظر أبو بكر محمد بن الطيب بن جعفر بن القاسم أبو بكر الباقلائي، تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، (بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، 1987 م)، ط 1 ، باب في نفي خلق القرآن، ج: 1 ، ص: 268

بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ وَالرَّبُّ -تعالى- بِمَا يَقُومُ بِهِ مِنْ صِفَاتِهِ وَكَلِمَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ وَالْعِبَادُ إِذَا قَرَعُوا كَلَامَهُ فَإِنَّ كَلَامَهُ الَّذِي يَقْرَأُونَهُ هُوَ كَلَامُهُ لَا كَلَامَ غَيْرِهِ وَكَلَامُهُ الَّذِي تَكَلَّمَ بِهِ لَا يَكُونُ مَخْلُوقًا وَكَانَ مَا يَقْرَأُونَ بِهِ كَلَامَهُ مِنْ حَرَكَاتِهِمْ وَأَصْوَاتِهِمْ مَخْلُوقًا وَكَذَلِكَ مَا يُكْتَبُ فِي الْمَصَاحِفِ مِنْ كَلَامِهِ فَهُوَ كَلَامُهُ مَكْتُوبًا فِي الْمَصَاحِفِ وَكَلَامُهُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ وَالْمِدَادُ الَّذِي يُكْتَبُ بِهِ كَلَامُهُ وَغَيْرُ كَلَامِهِ مَخْلُوقٌ (1)

المسألة الثالثة: إذا تطابق كلام المخلوق مع كلام الخالق؟

وهنا فقد يتطابق كلام المخلوقين مع كلام الخالق، فقله -تعالى- مثلا: (وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (4)ص. قد يكون متطابقا تطابقا كاملا بين كلام الله -تعالى- وبين ما قاله أولئك المشركون، نفس الكلمات ونفس الحروف، دون زيادة ولا نقصان، فهل يصح أن يقال: كلام المشركين هذا ليس بمخلوق، لكونه تطابق مع كلام الله لما نقل ذلك عنهم؟ وهل يصح - أيضا - أن يقال كلام الله -تعالى- مخلوق لكونه تطابق مع كلام المشركين؟

نقول- وبالله التوفيق - فبعد الذي مضى من توضيح لبعض المسائل المشابهة، ما عادت هذه المسألة تثير إشكالا البتة، وذلك لأن الكلام هنا - وإن تطابق - فيبقى كلام المشركين الذي انتهى وتلاشى مخلوقا، وكلام الله -تعالى- الذي تطابق مع كلام المشركين ليس مخلوقا، لأنه كلامه سبحانه ينسب إليه، فالعلة في ذلك هي أن الكلام يتبع المتكلم، فإن كان المتكلم هو الخالق فكلامه غير مخلوق، وإن كان المتكلم هو العبد المخلوق فكلامه مخلوق، يقول ابن تيمية: «بَلْ مَا اتَّصَفَ بِهِ الرَّبُّ مِنْ ذَلِكَ فَهُوَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ وَمَا اتَّصَفَ بِهِ الْعَبْدُ مِنْ ذَلِكَ فَهُوَ مَخْلُوقٌ فَالْصِّفَةُ تَتَّبَعُ الْمُوصُوفَ. فَإِنْ كَانَ الْمُوصُوفُ هُوَ الْخَالِقُ فَصِفَاتُهُ غَيْرُ مَخْلُوقَةٍ وَإِنْ كَانَ الْمُوصُوفُ هُوَ الْعَبْدُ الْمَخْلُوقُ. فَصِفَاتُهُ مَخْلُوقَةٌ. ثُمَّ إِذَا قَرَأَ بِأَمِّ الْقُرْآنِ وَغَيْرِهَا مِنْ كَلَامِ اللَّهِ فَالْقُرْآنُ فِي نَفْسِهِ كَلَامُ اللَّهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ وَإِنْ كَانَ حَرَكَاتُ الْعِبَادِ وَأَصْوَاتُهُمْ مَخْلُوقَةً. وَلَوْ قَالَ الْجُنُبُ: { الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } يَنْوِي بِهِ الْقُرْآنَ مُنِعَ مِنْ ذَلِكَ وَكَانَ قُرْآنًا وَلَوْ قَالَ يَنْوِي بِهِ حَمْدَ اللَّهِ لَا يَقْصِدُ بِهِ الْقِرَاءَةَ لَمْ يَكُنْ قَارِئًا وَجَازَ لَهُ ذَلِكَ» (2)

« وَأَصْلُ هَذَا أَنَّ مَا يُوصَفُ اللَّهُ بِهِ وَيُوصَفُ بِهِ الْعِبَادُ يُوصَفُ اللَّهُ بِهِ عَلَى مَا يَلِيْقُ بِهِ وَيُوصَفُ بِهِ الْعِبَادُ بِمَا يَلِيْقُ بِهِمْ مِنْ ذَلِكَ» (3)

ويخلص الباحث في هذه المسألة إلى أن القرآن الكريم كله كلام الله -تعالى- من أوله

(1) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج: 12، ص: 55

(2) المرجع السابق، ج: 12، ص: 66

(3) المرجع السابق، ج: 12، ص: 65

إلى آخره، ولا ينسب منه شيء إلى أحد من المخلوقين، ولا حتى أقوالهم التي نقلها عنهم الرب سبحانه وأوردها في كتابه الكريم، حتى ولو تطابق شيء من كلامهم مع كلام الله، لأنّ كلامهم الذي أنشأوه تلاشى وانتهى في حينه، وهو مخلوق، له بداية ونهاية، والله -تعالى- نقل مرادهم بألفاظ من عنده ونظم من عنده تتوافق وعظمة القرآن الكريم، وهو صفة الله ليس بمخلوق، قال -تعالى-: (وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (82) سورة النساء؛ لأنّه لو كان فيه شيء من كلام البشر لظهر عليه الضعف والتضاد⁽¹⁾، يقول ابن كثير عند قوله: { لَوْجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا } : «أي: اضطرابا وتضادًا كثيرًا. أي: وهذا سالم من الاختلاف، فهو من عند الله»⁽²⁾

المطلب الثالث: التحقق من نقل الكلام المحكي في القرآن الكريم الدائر بين اللفظ والمعنى

إنّ من المسلّم به أنّ كل ما في القرآن الكريم هو كلام الله -تعالى- ولا ينسب لأحد فيه كلام قط - وليس هذا مجال بحثنا - وإنما بحثنا هنا حول حقيقة الكلام المحكي على السنة الخلق في القرآن الكريم، هل نقل كما هو بلفظه ومعناه؟ أم بأحدهما دون الآخر؟

ذكر ابن تيمية رحمه الله -تعالى- أنّ الكلام المحكي على السنة الخلق في القرآن إنّما نقل بالمعنى لا باللفظ⁽³⁾، وأكد ذلك ابن جنّي فقال: «جميع ما ورد في القرآن حكاية عن غير أهل اللسان من القرون الخالية إنّما هو معرّب عن معانيهم، وليس هو بحقيقة ألفاظهم»⁽⁴⁾، وأكد ذلك غير واحد من المعاصرين كالعلامة محمد عبد الله دراز، فقال: «حكى الله -تعالى- عن موسى وفرعون وغيرهما مضمون كلامهم بألفاظ غير ألفاظهم وأسلوب غير أسلوبهم ونسب ذلك إليهم»⁽⁵⁾، ويمكن تأكيد ذلك من خلال الأدلة الآتية:

أولاً: ذكر الله -تعالى- أقوالاً عن بعض الحيوانات والجمادات في كتابه العزيز، كقوله: (قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطَمَنَّكُمْ سُلَيْمٌ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (18) سورة النمل. وقوله: (ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (11) سورة فصلت، فهنا ينقل الله -تعالى- أقوالاً للنملة وللأرض والسما، ومعلوم أنّ هذه المخلوقات غير ناطقة، فلا يُتصور أن يكون ذلك من ألفاظهم

- (1) انظر سيد قطب، في ظلال القرآن، (القاهرة: دار الشروق، 1423 هـ - 2003 م)، ط 2، ج 2، ص: 721
- (2) أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي ابن كثير (ت: 774 هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، (دار طيبة للنشر والتوزيع، 1420 هـ - 1999 م)، ط 2، ج 2، ص: 364
- (3) انظر ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج: 6، ص: 537
- (4) جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت 911 هـ)، الإتيان في علوم القرآن، تحقيق: سعيد المنذوب، (لبنان: دار الفكر، 1416 هـ - 1996 م)، ج: 2، ص: 328
- (5) دراز، النبأ العظيم، ص 16

على الحقيقة، فيتأكد أنّ ما نقله الله -تعالى- عن هذه المخلوقات إنّما كان بالمعنى لا باللفظ.

ثانياً: ذكر الله -تعالى- أقوالاً لبعض الناطقين بغير العربية، كقوله -تعالى-: (قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ (29) -سورة غافر، ومعلوم أنّ فرعون لم يكن عربياً، فلا يمكن أن يكون ذلك اللفظ من كلامه على الحقيقة، وإنّما كان ذلك من كلام الله تعالى، والمعنى يسند إلى فرعون.

ثالثاً: من المعلوم أنّ لفظ الحديث القدسي من عند الرسول ﷺ ومعناه من عند الله تعالى⁽¹⁾، ولا ينقصه ذلك شيء من مضمونه الذي يسند إلى الله -تعالى- باعتباره القائل له، علماً بأنّ الرسول -صلى الله عليه وسلم- هو من صاغ ألفاظه. وبالمقارنة مع موضوعنا هذا فإنّ الأمر فيه سعة ولا يوجد ما يمنع من نقل القرآن الكريم لكلام الخلق بالمعنى بألفاظ من عند الله -تعالى- دون أن يتغير من مضمون كلامهم شيء. فاللفظ ينسب إلى الله -تعالى- والمعنى ينسب إلى من أنشأ القول ابتداءً في حينه، لأنّ الله يتكلم بمراد المتكلم لا بلفظ المتكلم «وهذا سائغ في العربية، حيث ينسب الكلام باعتبار مضمونه لا باعتبار ألفاظه، فأنت تقول حينما تنتثر بيتاً من الشعر: يقول الشاعر كذا، وحينما تحكي ما سمعته من شخص: يقول فلان كذا، وقد حكى القرآن الكريم عن موسى وفرعون وغيرهما مضمون كلامهم بألفاظ غير ألفاظهم، وأسلوب غير أسلوبهم، ونسب ذلك إليهم»⁽²⁾

رابعاً: من المعلوم أنّ القرآن الكريم معجز بألفاظه، وكلام البشر ليس بمعجز، وضرورة الإعجاز تقتضي أن يكون كل ما في القرآن من كلام الله لا ينسب فيه شيء إلى غير الله -تعالى-، وهذا يقتضي أن يكون كل ما نقل من كلام الخلق الوارد بالقرآن الكريم إنّما نقل بالمعنى لا باللفظ. ولو كان الأمر خلاف ذلك لكان التحدي الذي تحدى الله به البشر باطلاً، إذ إنّ الله -تعالى- تحدى البشر بأن يأتيوا بكلام بنفس مستوى القرآن بالبلاغة والبيان. فقال: (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَعْظَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (38) -سورة يونس. فكيف يتحدى الله البشر بأن يأتيوا بمثله وهو يحتوي على ألفاظ من ألفاظهم؟ فهذا تناقض. وهذا دليل على عدم احتواء القرآن على كلام ينسب إلى الخلق بألفاظهم صراحة.

وبالنظر في آيات القرآن الكريم فإنّ كل ما فيه من روعة البيان وعذوبة التعبير يبطل القول بأنّ فيه كلاماً ينسب إلى بعض الخلق بنفس ألفاظهم، فلو أنك أقبلت على القرآن الكريم تقرؤه من أوله إلى آخره فإنك ستجده «محكم السرد دقيق السبك متين الأسلوب

(1) نور الدين عتر، منهج النقد في علوم الحديث، (سورية: دار الفكر دمشق، 1418 هـ -1997 م)، ط 3، ص 324

(2) مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، (القاهرة: مكتبة وهبة)، ط 7، ص: 23، وانظر دراز، النبأ العظيم،

قوي الاتصال أخذ بعضه برقاب بعض في سوره وآياته وجمله يجري دم الإعجاز فيه كله من ألفه إلى يائه»⁽¹⁾ ولعل السر في هذا يكمن في نظم الكلام الذي لا يقوى عليه بشر، وهذا يقودنا إلى التأمل في نظرية النظم عند الخطابي والجرجاني التي تقوم على أركان ثلاثة: اللفظ والمعنى والنظم.

يقول الخطابي: «إنما يقوم الكلام بثلاثة أشياء: لفظ حامل ومعنى به قائم ورباط لهما ناظم... فخرج من هذا أن القرآن إنما صار معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف، مضمناً أصح المعاني»⁽²⁾ وهذا يؤكد أن كل ما في القرآن من كلام ينسب إلى الله وحده دون غيره، وأما ما ورد من كلام لخلقه سبحانه فينسب إليهم بالمعنى لا باللفظ.

المبحث الثاني: علاقة كلام الخلق الوارد في القرآن الكريم بالإعجاز واستنباط الفوائد

إن مسألة التداخل في إسناد الكلام المحكي في القرآن الكريم تقودنا إلى مسألة أخرى، وهي الإعجاز القرآني، والحكم والفوائد الحاصلة من الكلام المحكي في القرآن، فهل يصح أن نعدّ قول فرعون الوارد في القرآن الكريم - مثلاً - معجزاً؟ وهل ما يرد من حكم وفوائد على ألسنة الخلق الواردة في القرآن يمكن اعتبارها صحيحة، لكونها وردت في القرآن؟ كل ذلك سنجد له جواباً في المطالب الآتية - إن شاء الله -.

المطلب الأول: الإعجاز في الكلام المحكي على ألسنة من ذكرهم القرآن في آياته

من المعلوم أن كل آيات القرآن الكريم معجزة دون استثناء ولكن كيف يكون ذلك وفي القرآن كلام ينسب إلى بعض البشر والدواب والنباتات والجمادات؟ ومن المعلوم أن الإعجاز خاص بالقرآن الكريم، وقد تحدى الله - تعالى - البشر أن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا. فكيف تكون - إذن - الآيات التي نقلت أقوال بعض البشر وغيرهم معجزة؟

للجواب على ذلك لا بد أن نؤكد على ما ذكرناه سابقاً، بأن الآيات الخاصة بأقوال بعض الخلق من بشر وغيرهم، تقسم إلى قسمين: ألفاظ، وهي تسند إلى الله تعالى. ومعاني، وهي خاصة بقائلها وقت النطق بها، وقد نقل الله - تعالى - هذه المعاني بألفاظ من عنده

(1) محمد عبدالعظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، (بيروت: دار الفكر، 1996م)، ط 1، ص 44

(2) أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي (388 هـ)، بيان إعجاز القرآن، مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن [سلسلة ذخائر العرب (16)، تحقيق: محمد خلف الله، د. محمد زغول سلام، (مصر: دار المعارف، 1976م)، ط 3، ص: 27، وانظر الإمام عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق: د. التنجي، (الناشر دار الكتاب العربي، 1415هـ - 1995م)، ص 76 - 87

تعبّر عما قاله أصحابها دون المساس ببنية ما قصده من أقوالهم، علماً أنّ هذه الألفاظ التي ذكرها الله -تعالى- وأسندها إلى قائلها لا تتطابق مع كلام أصحابها البتة، وسبب ذلك إظهار روعة القرآن في بيانه، وهو ما نسميه بالإعجاز .

قال الإمام القرطبي: « إنّ آياته قد نظمت نظاماً محكماً لا يلحقها تناقض ولا خلل»⁽¹⁾ لأنّه لو تم نقل الكلام كما هو - على فرض أنّ أصحابه يتكلمون العربية - لظهرت ركاقة القول، وبان الضعف والخلل فيه، ولما علا شأنه .

ولسنا هنا بصدد الحديث عن بلاغة القرآن وأسلوبه الباهر، إذ يكفي أن نشير إلى أن الفضل في روعة البيان القرآني يعود إلى نظمه المحكم، والذي أشار إليه الجرجاني بنظره⁽²⁾.

وليبيان ذلك نأخذ بعض الأمثلة :

قال -تعالى-: (قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَنَعِنَا فَأَكَلَهُ الذَّنْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ (17) - سورة يوسف

هذه الآية تنقل لنا كلام إخوة يوسف عندما واجهوا أباهم بجريرتهم النكراء، فقالوا- للتغطية على جريرتهم - : فَأَكَلَهُ الذَّنْبُ . ومعلوم أنّ الذنب يفترس افتراساً ولا يأكل أكلاً، كيف يصح ذلك ؟

يقول الخطابي: « فأما قوله -تعالى-: {فأكله الذنب} فإنّ الافتراس معناه في فعل السبع القتل فحسب، وأصل الفرس دق العنق، والقوم إنّما ادعوا على الذنب أنّه أكله أكلاً وأتى على جميع أجزائه وأعضائه، فلم يترك مفصلاً ولا عظماً، وذلك أنّهم خافوا مطالبة أبيهم إياه بأنّ باق منه يشهد بصحة ما ذكروه، فادعوا فيه الأكل ليزيلوا عن أنفسهم المطالبة، والفرس لا يعطي تمام هذا المعنى، لم يصح على هذا أن يعبر عنه إلا بالأكل»⁽³⁾

وعليه فإنّ قوله -تعالى- (فأكله الذنب) يظهر فيه إعجاز القرآن، وروعة البيان، فهو كلام الله -تعالى- ويسند إليه، وليس لإخوة يوسف أي فضل في هذا البيان، لأنهم - أولاً - لم يكونوا من أهل اللسان العربي حتى يقولوا هذا القول بهذا الترتيب، وثانياً، لأنهم ليس لديهم - ولا لأي مخلوق - هذه البراعة في رصف الكلام لإظهار دقائق معانيه، علماً أنّ ما

(1) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي القرطبي، (ت: 671 هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: هشام سميح البخاري، (الرياض: دار عالم الكتب، 1423 هـ - 2003 م)، ج: 9، ص: 2

(2) انظر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 330

(3) الخطابي، بيان إعجاز القرآن، ص 41

قالوه أمام أبيهم هو المقصود من هذه الآية، لكن بعبارات غير هذه العبارات وكلام غير هذا الكلام. وهكذا الأمر في كل أمثلة القرآن الكريم.

وثمة أمر آخر، وهو أنّ الله -تعالى- تحدى البشر أن يأتوا بمثل هذا القرآن لإثبات مصدر الرسالة وصحتها، قال -تعالى-: (قُلْ لئن اجتمعت الإنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أن يأتوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَأَيْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً) (88) -سورة الإسراء، إذ كيف يُتصور أن يتحدى الله البشر بنفس كلامهم - على فرض اعتبار أنّ الآيات التي نقلت بعض كلام البشر وغيرهم تتطابق تماماً مع أقوالهم وألفاظهم- ثم يعجزهم به لإثبات صدق رسالته ومصدرها؟

يقول ابن عاشور: «لو تعاون الإنس والجن على أن يأتوا بمثله لما أتوا بمثله فكيف بهم إذا حاولوا ذلك متفرقين»⁽¹⁾ ويقول الزمخشري: «لو تظاهروا على أن يأتوا بمثل هذا القرآن في بلاغته وحسن نظمه وتأليفه، وفيهم العرب العاربة أرباب البيان لعجزوا عن الإتيان بمثله»⁽²⁾ وعليه يتأكد لنا بأنه لا يوجد في القرآن الكريم أي لفظ يضاف إلى غير الله حقيقة، وما ذكره القرآن من أقوال للأمم السابقة وبعض البشر وغيرهم إنما هو كلام الله يضاف إليه بالكامل، وليس لقاليله سوى المعنى.

قال -تعالى-: (أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي حَكْماً وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ) (114) الأنعام. فكل ما في القرآن من عند الله تعالى، ولو كان غير ذلك لما كان فيه شيء من الإعجاز. يقول ابن عاشور: «إنّ في القرآن دلالة على أنه من عند الله بما فيه من الإعجاز، وبأمّية المنزل عليه»⁽³⁾

المطلب الثاني: تنقل الكلام المحكي من موضع لآخر في القرآن الكريم

يكثر ذكر قصص السابقين وكلامهم الوارد في القرآن الكريم بأساليب وألفاظ مختلفة، تختلف من موقع لآخر، كقوله -تعالى- على لسان موسى عليه السلام في سورة النمل: (إذ قال موسى لأهله إني آنست نارا سائيتكم منها بخبر أو أتيتكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون) (7) -سورة النمل

- (1) محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، (تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع، 1997م)، ج: 15، ص: 203
- (2) أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، ج: 2، ص: 647
- (3) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج: 8، ص: 15

وفي القصص قال: (فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَىٰ الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (29)- سورة القصص.

فالألفاظ في هذه الآيات جاءت على لسان موسى عليه السلام في موقف واحد ومع ذلك يوجد اختلاف، فمرة يقول: امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا، ومرة: إِنِّي آنَسْتُ نَارًا، بدون امْكُثُوا. ومرة يقول: سَأَتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ، ومرة: لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ. فما سر هذا الاختلاف؟ ولماذا هذا الاختلاف، والقائل واحد، والموقف واحد؟

ويمكن الإجابة على هذا التساؤل من خلال الآتي:

أولاً: من المؤكد أنّ القرآن مليء بمثل هذا التكرار الذي يختلف من موقع لآخر في الحدث الواحد، والذي قد يظنه البعض بأنه تناقض، والصحيح أن ليس في ذلك شيء من التناقض، بل هو تكامل وروعة بيان، وهو أسلوب من أساليب القرآن في إظهار روعة الإعجاز، حيث يفتح ذلك آفاقاً جديدة للمعاني والفوائد، وأنماطاً متنوعة من أساليب البلاغة والبيان، ولذلك عدّ العلماء والمفسرون هذا التنوع في اللفظ والعبارة من مظاهر الفصاحة والبيان، يقول الزركشي رحمه الله: «إبراز الكلام الواحد في فنون كثيرة وأساليب مختلفة لا يخفى ما فيه من الفصاحة»⁽¹⁾

ثانياً: نؤكد هنا ما أكدناه سابقاً بأن كثيراً من الكلام المحكي على ألسنة السابقين في القرآن الكريم ليس عربياً، وعليه فما جاء على ألسنتهم في القرآن الكريم ليس من لفظهم، وإنما من كلام الله تعالى، وليس لهم فيه إلا المعنى وجوهر الكلام. فإعجاز القرآن البياني يُثبت أنّ ما جاء في القرآن من كلامهم ليس من ألفاظهم وصياغتهم، ولو كان من ألفاظهم لما خرج بهذه الفصاحة المعجزة.

ثالثاً: قد يتكرر القول الواحد مع وجود اختلاف في اللفظ، وذلك بسبب أنّ القائل أكثر من واحد ولكنهم كلهم ينسبون إلى طائفة واحدة، مثل قوله تعالى: (وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً) البقرة: 80 وفي آل عمران (بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ) آل عمران: 24. لأن القائل فرقتان من اليهود، إحداهما قالت: معدودة، والأخرى قالت: معدودات. «قال ابن جماعة: لأنّ قائل ذلك فرقتان من اليهود إحداهما قالت: إنّما نعذب بالنار سبعة أيام عدد أيام الدنيا والأخرى قالت إنّما نعذب أربعين عدة أيام عبادة آبائهم العجل فأية البقرة تحتل قصد الفرقة الثانية حيث عبّر بجمع الكثرة، وآل عمران بالفرقة

(1) محمد بن بهادر بن عبد الله أبو عبد الله الزركشي (ت: 794)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت: دار المعرفة، 1391 هـ)، ج: 3، ص: 26.

الأولى حيث أتى بجمع القلة»⁽¹⁾

رابعاً: قد يتكرر الكلام الواحد مع وجود اختلاف في اللفظ بسبب تعدد المواقف، فمثلاً قوله -تعالى- على لسان إبراهيم عليه السلام: { رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا } وفي سورة إبراهيم قال: { رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا } إبراهيم: 35 قال ابن كثير: «وقال في هذه السورة - البقرة -: { رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا } أي: اجعل هذه البقعة بلداً آمناً، وناسب هذا؛ لأنه قبل بناء الكعبة. وقال -تعالى- في سورة إبراهيم: { وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا } [إبراهيم : 35] وناسب هذا هناك لأنه، والله أعلم، كأنه وقع دعاء ثانياً (4) بعد بناء البيت واستقرار أهله به»⁽²⁾

خامساً: بالعودة إلى الآيات السابقة وغيرها من الآيات المشابهة، فإن هذا الاختلاف في مفردات اللفظ الواحد سببه اختلاف السياق الذي ورد الكلام لأجله، فأحياناً يقتضي السياق في موضع من المواضع إبراز معنى لم يكن من الضروري إبرازه في موضع آخر، بحيث يذكر في كل موضع ما يتلاءم معه من الألفاظ والمعاني.⁽³⁾ «فالسباق الدقيق هو الذي يحدد اللفظ المناسب، المناسب بحروفه وجرسه وإيقاعه، والمناسب بمعناه المتفق مع معاني الألفاظ الأخرى مجتمعه. السياق هو الذي يحدد اللفظ المفرد أو الجمع، أو المعرفة أو النكرة، أو اللفظ المقارب له بمعناه، أو التعبير في موضع بلفظ، وفي موضع آخر بلفظ آخر»⁽⁴⁾

فما جاء في الآيات السابقة على لسان موسى عليه السلام يفسره سياق الآيات في سورتي النمل والقصص، فقصّة موسى في سورة النمل جاءت موجزة مجملّة، وفي سورة القصص جاءت القصة مفصلة مطولة.

والأمر الآخر أنّ المقام في سورة النمل، مقام تكريم لموسى عليه السلام، وفي سورة القصص كان جو القصة مطبوعاً بطابع الخوف، وهذا واضح من خلال الآيات التي بينت ذلك من أول القصة إلى آخرها، كقوله -تعالى-: (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فإِذَا حَفَّتْ عَلَيْهِ فَالْقِيَةِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي (7) القصص. وقوله -تعالى-: (وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فِرْعَاوْنَ كَأَنَّهَا كَانَتْ تُخَذِّبُ بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا (10) القصص. وقوله -تعالى-: (فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ (18) وقوله: (فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ (21) ويبقى ذلك

(1) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج: 3، ص: 394

(2) ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج: 1، ص: 425

(3) انظر الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج: 3، ص: 29، وانظر الدكتور فضل حسن عباس، قصص القرآن الكريم، ص: 81

(4) الدكتور صلاح الخالدي، إعجاز القرآن البياني، ص: 132

الكلام المحكي على ألسنة الخلق في القرآن الكريم وعلاقته بكلام الله (393-416)

الخوف حتى بعد التكليف بالرسالة ، قال -تعالى-: (قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ (33).. وهكذا

إذن الأمر في سورة القصص أمرين، التفصيل والخوف، وفي النمل، الإيجاز والتكريم، وبناء على ذلك يمكن توضيح الاختلاف الواقع في سورتي النمل والقصص.

ففي سورة النمل قال: -تعالى-: (إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا) النمل: 7. وفي القصص قال: (قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا) (بزيادة «امكثوا» وهذه الزيادة تناسب مقام التفصيل الذي بنيت عليه سورة القصص بخلاف سورة النمل المبنية على الإيجاز. ثم قال في النمل: (سَأْتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ). وقال في القصص: (لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ) ففي النمل جاء الكلام على التأكيد والقطع «سَأْتِيكُمْ» وفي القصص جاء الكلام على الترجي والتشكيك «لَعَلِّي آتِيكُمْ» وذلك أن مقام الخوف في القصص لم يدعه يقطع بالأمر فإن الخائف لا يستطيع القطع بما سيفعل بخلاف الأمن. ولما لم يذكر الخوف في سورة النمل بناء على الوثوق والقطع بالأمر. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى إن ما ذكره في سورة النمل هو المناسب لمقام التكريم لموسى بخلاف ما في القصص⁽¹⁾.

والسؤال الأهم الآن: ماذا قال موسى عليه السلام فعلا؟ هل قال: (سَأْتِيكُمْ) أم قال: (لَعَلِّي آتِيكُمْ)؟

الجواب: هو أنه قال الإثنين والله أعلم. ولا غرابة في ذلك، فنحن نفعل ذلك في حياتنا كثيرا، فمثلا لو توفر لك عقد عمل خارج البلاد، فإنك تقول لأهلك: « سأذهب وأوقع عقد العمل لتحسين أوضاعنا » وفي نفس اللحظة يطرق إلى ذهنك أن تكاليف المعيشة في تلك البلاد مرتفعة جدا، فتعود وتقول: « لا لعلي أذهب لتوقيع العقد » وقد يطرق إلى ذهنك هم الأولاد من بعدك، وتقول: « سأدرس الوضع، الأمر يحتاج إلى تروي » فهذه ثلاث عبارات لموقف واحد، إذن أنت قلت أكثر من عبارة، أنت قطعت وترجيت في وقت واحد، فهذا يحصل. وموسى عليه السلام قال الإثنين، لكن ربنا -تعالى- ذكر كل موطن في مقامه، ولا غرابة في ذلك⁽²⁾.

إذن فمن خلال ما سبق يتبين لنا أنه لا غرابة ولا تناقض في تكرار اللفظ الواحد بصيغ متعددة، وما هذا الاختلاف إلا لضرورة الإعجاز البياني في القرآني الكريم الذي

(1) انظر الدكتور فاضل السامرائي، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل ، ص: 90 – 94 . بتصرف
(2) انظر الدكتور فاضل السامرائي، قصة سيدنا موسى من حيث أوجه التشابه والاختلاف كما وردت في سورتي النمل والقصص، موقع روائع البيان القرآني <http://albayanalqurany.com/> clause/%D9%82%D8%B5%D8%A9 - بتاريخ: 10 / 10 / 1017 م ، بتصرف

تحدى الله به كل البشر على أن يأتوا بمثله فعجزوا .

المطلب الثالث: استنباط الحكم والفوائد من كلام الخلق الوارد في القرآن الكريم على أساس أنها مسلمات قرآنية ؟

نلاحظ - أحيانا - ونحن نتلو القرآن الكريم، أنّ بعض الكلام المحكي الوارد على السنة بعض الناس يجيء على شكل قاعدة في الحياة، كقول عزيز مصر للنساء: (إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ) سورة يوسف: 28 ، وكقول امرأة العزيز: (إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَجِمَ رَبِّي) سورة يوسف: 53 ، وكقول بلقيس: (إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً) سورة النمل: 34 ، وغيرها كثير من الآيات المحكية على السنة بعض الخلق التي تأتي على شكل قاعدة ومثّل سائر في الحياة. فهل فعلا أنّ كيد النساء عظيم؟ وهل فعلا أنّ النفس أمارة بالسوء؟ وهل صحيح أنّ الملوك إذا دخلوا مكان أفسدوه؟ هل يصح أن نعدّ ذلك قواعد أصيلة في الحياة؟ وهل يصح أن نأخذ بكل ما ورد في هذه الآيات على أنها مسلمات صحيحة يجب العمل بها، لكونها آيات قرآنية؟ أم أنها كلام عابر يتحمّله قائله، قد يصح وقد لا يصح ؟

وللتحقيق في هذه المسألة نأخذ مثالا، قوله -تعالى-: (إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ) يوسف: 28، لنتبين هل فعلا كيد النساء عظيم كما جاء في القرآن؟ وهل يصح أن تكون هذه قاعدة في الحياة؟ فالجواب: نعم، مادام أنّه ذكر في القرآن. فإن قال قائل: (إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ) هو من قول العزيز، فهنا يرد سؤال: هل كل حكاية وردت في القرآن عن الخلق تُقبل أو لا؟ والجواب فيه تفصيل: فإن وقع للحكاية ردّ، علم أنّ الحكاية باطلة، مثل قوله -تعالى-: (وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قٰنُونٌ) البقرة: 116، فالتعقيب عليها بتنزيهه الله دليل على أنّ كلام الكفار باطل، وإن لم يقع لها ردّ، دل ذلك على صحتها، إذ لو كانت باطلة لردت، ومن أمثلة هذا القسم جميع ما حكى عن المتقدمين من الأمم السالفة مما كان حقا؛ كحكايته عن الأنبياء والأولياء وغيرهم، وهذا ما وضّحه الشاطبي رحمه الله، حيث قال: «كل حكاية وقعت في القرآن؛ فلا يخلو أن يقع قبلها أو بعدها - وهو الأكثر - ردّ لها، أو لا، فإن وقع ردّ؛ فلا إشكال في بطلان ذلك المحكي وكذبه. وإن لم يقع معها ردّ؛ فذلك دليل صحة المحكي وصدقه . أما الأول فظاهر، ولا يحتاج إلى برهان، ومن أمثلة ذلك قوله -تعالى-: (إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلٰى بَشَرٍ مِّنْ شَيْءٍ) الأنعام: 91، فأعقب بقوله: (قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتٰبَ الَّذِي جَاءَ بِهِ -مُوسَى) الآية الأنعام: 91 وأما الثاني؛ فظاهر أيضا، ولكنّ الدليل على صحته: من نفس الحكاية وإقرارها، فإنّ القرآن سمي فرقانا، وهدى، وبرهانا، وبيانا، وتبينانا لكل شيء، وهو حجة الله على الخلق، على الجملة والتفصيل والإطلاق والعموم، وهذا المعنى يابى أن يحكى فيه ما ليس بحق، ثم لا ينبه عليه .

ومن أمثلة هذا القسم: جميع ما حكي عن المتقدمين من الأمم السالفة مما كان حقاً؛ كحكايته عن الأنبياء والأولياء، ومنه قصة ذي القرنين، وقصة الخضر مع موسى عليه السلام، وقصة أصحاب الكهف، وأشباه ذلك»⁽¹⁾.

والسؤال هنا، بعدما تبين لنا أنّ قول العزيز: (إِنَّ كَيْدُكَ عَظِيمٌ) صحيح، فما وجه كون كيد النساء عظيماً؟ فهل هو عظيم على إطلاقه؟ وللجواب على ذلك لا بدّ من معرفة سياق الآية الكريمة، ومقابلة كيد النساء بكيد الشيطان وكيد الرجال.

أولاً: سياق الآية الكريمة

ورد هذا القول على لسان عزيز مصر عندما كشف أمر امرأته التي كانت تراود يوسف عليه السلام، ففي هذا الأثناء هرب يوسف عليه السلام من امرأة العزيز بينما هي تلاحقه لعلها تظفر به وتوقعه في شر أعمالها، وتحصل المفاجئة المخجلة فيأذا بالعزيز واقف على الباب، فانبرت امرأته وقالت: (مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (25)- سورة يوسف، فقال يوسف مدافعاً عن نفسه: (هِيَ رُودَتْنِي عَنِ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِنْ قَبْلِ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (26) وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (27)- سورة يوسف. فلما تأكد العزيز - بقرينة تقطيع القميص من الخلف وأن زوجته كاذبة - قال: (إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (28)- سورة يوسف، أي أنّ هذا الفعل الذي قامت به امرأته هو من كيد النساء، ثم ردّ هذا الفعل لقاعدة: أنّ كيد النساء عظيم، وذلك لتبرير ذنب امرأته.

إذن كلام العزيز جاء في سياق تبرير فضيحة على وشك أن تعصف بأسرته وسماعته بين الناس، فأسند ذنب زوجته إلى طبيعة عامة عند النساء، وهي الكيد العظيم، وذلك من أجل التخفيف من حدّة الموقف.

ثانياً: مقابلة كيد النساء بكيد الشيطان

ذهب بعض المفسرين إلى اعتبار قوله: (إِنَّ كَيْدُكَ عَظِيمٌ) دليلاً على أنّ كيد النساء عظيم، بل هو أعظم من كيد الشيطان، لقوله -تعالى-: (إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا) - سورة النساء: 76. يقول الزمخشري: «وعن بعض العلماء: أنا أخاف من النساء أكثر مما أخاف من الشيطان؛ لأنّ الله -تعالى- يقول: (إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا) وقال للنساء: (إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ)»⁽²⁾.

(1) إبراهيم بن موسى الشاطبي، الموافقات، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، (دار ابن عفان - 1417هـ - 1997م)، ط 1. ج: 4، ص: 158 - 161. باختصار.

(2) الزمخشري، تفسير الكشاف، ج: 2، ص: 435. وانظر محمود أبو الفضل الألويسي، روح المعاني في

وفي الحقيقة أنّ هذه مقارنة خاطئة وقع فيها - للأسف - بعض المفسرين، وخطأهم يقع لكثير من الاعتبارات، منها: أنّ من قال: (إنّ كيدكن عظيم) هو عزيز مصر، وهو بشر مخلوق، ومن قال: (إنّ كيدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا) هو الله سبحانه وتعالى، وشتان بين قول المخلوق وقول الخالق.

الأمر الآخر، هو أنّ قول العزيز جاء في سياق تدرير خطيئة امرأته التي ثبتت عليها، وذلك للتخفيف من هول الفضيحة التي لحقت به وبأهله، بينما قوله -تعالى-: (إنّ كيدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا) جاء في سياق مقابلة ضعف الشيطان بقوة الله تعالى، ولا شك أنّ أي قوة في الدنيا، وأي كيد فيها فهو ضعيف أمام قوة الله، مهما كانت هذه القوة،⁽¹⁾ قال -تعالى-: (الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا) -النساء: 76

وقد اعتمد بعض المفسرين في أنّ كيد النساء أعظم من كيد الشيطان على حديث الرسول -صلى الله عليه وسلم- الذي ذكره القرطبي عن مقاتل عن يحيى بن أبي كثير عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنّ كيد النساء أعظم من كيد الشيطان لأنّ الله -تعالى- يقول: { إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا } [النساء: 76] وقال: { إِنَّ كَيْدُكَ عَظِيمٌ }»⁽²⁾، وهذا الحديث ضعيف لانقطاع سنده، لأنّ يحيى ابن كثير لم يسمع من أبي هريرة، وكذلك لا يلتفت إلى الاستدلال بحديث الرسول: (إنّكن صواحب يوسف)⁽³⁾، فليس فيه ما يدل على أنّ كيد النساء عظيم، بل المقصود منه أنّ من طبيعة النساء تدرير مرادهن، حتى ولو كان خطأ، فيظهرن خلاف الباطن.⁽⁴⁾

تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، ج: 12، ص: 224. وانظر محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت: 1393هـ)، تفسير أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1415 هـ، 1995 م)، ج: 2، ص: 217

(1) انظر أحمد بن محمد بن محمد بن المهدي الحسيني الإدريسي ابن عجيبة، البحر المديد، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2002 م - 1423 هـ)، ط 2، ج: 2، ص: 70

(2) القرطبي، تفسير القرطبي، ج: 9، ص: 175. والحديث ضعيف لانقطاع سنده، لأنّ يحيى ابن كثير لم يسمع من أبي هريرة.

(3) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجماعة والإمامة، باب حد المريض أن يشهد الجماعة، ج: 1، ص: 236، رقم: 633، وانظر مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، كتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض أو سفر، ج: 1، ص: 311، رقم: 418

(4) انظر أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (ت: 852 هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز ومحب الدين الخطيب، (دار الفكر، مصور عن الطبعة السلفية)، ج: 2، ص: 153

ثالثاً: مقابلة كيد النساء بكيد الرجال

وقد ذهب بعض المفسرين - أيضاً - إلى أنّ كيد النساء أعظم من كيد الرجال، استناداً إلى قوله: (إِنَّ كَيْدُكُمْ عَظِيمٌ)، ونجد هذا عند كثير من أهل العلم والوعاظ وعوام الناس، فتجدهم يحدثون الناس على أنّ كيد النساء أعظم من كيد الرجال، ويغلبون لذلك القصص التي تسند هذا الترجيح. يقول الزمخشري: «وإنما استعظم كيد النساء لأنه وإن كان في الرجال، إلا أنّ النساء أطف كيداً وأنفذ حيلة. ولهنّ في ذلك نيفة ورفق، وبذلك يغلبن الرجال»⁽¹⁾.

وعلى الرغم من موافقة بعض المفسرين لذلك إلا أنه في واقع الحال لا دليل عليه البتة، وذلك لأنّ الآية لا تتحدث عن المفاضلة بين كيد النساء وكيد الرجال على الإطلاق، وإنّما جاءت الآية - كما قلنا سابقاً - في سياق تبرير فضيحة ثبتت لعزير مصر، ولم يكن عزير مصر - آنذاك - قد عمل دراسة واستقراء على كيد النساء وكيد الرجال. بل على العكس من ذلك فإنّ الواقع يثبت أنّ دهاء الرجال وكيدهم يفوق دهاء وكيد النساء بعشرات المرات، فما نراه من كيد ودهاء سياسي واقتصادي واجتماعي عند الرجال وما يتبعه من آثار خطيرة، قد يعصف بدول وشعوب بأكملها، وليس ذلك عند النساء. هذا وقد حدثنا القرآن الكريم عن كيد الرجال في كثير من المواقع، مثل قوله -تعالى-: (قَالَ يَبْنَئُ لَا تَقْصُصْ رُءُوكَ عَلَيَّ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ) (5) سورة يوسف. وقد كان منهم ما كان في إيذاء أخيهما يوسف عليه السلام.

والراجح في ذلك ما ذهب إليه بعض المفسرين من أنّ كيد النساء أعظم من كيد الرجال في بابيه، وذلك لأنّ كل إنسان بارع فيما يختص به، وكيد النساء في مجال الحب والعشق وأساليب الملاحظة وتدبير الحيل للإيقاع بالمحبوب أعظم من كيد الرجال، يقول الرازي: «وأيضاً فالنساء لهن في هذا الباب من المكر والحيل ما لا يكون للرجال ولأنّ كيدهن في هذا الباب يورث من العار ما لا يورثه كيد الرجال»⁽²⁾.

وعليه فإنّ ما يجري على هذه الآية ممّا توصلنا إليه من نتائج وفوائد، يجري على أيّ كلام محكي في القرآن كله، كقوله -تعالى-: (إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ) (53) -سورة يوسف، التي عدّها كثير من المفسرين قاعدة في الحياة⁽³⁾.

(1) الزمخشري، تفسير الكشاف، ج: 2، ص: 435، وانظر محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1422 هـ - 2001 م)، ط 1، ج: 5، ص: 298.

(2) الإمام فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي، مفاتيح الغيب، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1421 هـ - 2000 م)، ط 1، ج: 18، ص: 100، انظر علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم الخازن، تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، (بيروت: دار الفكر، 1399 هـ - 1979 م)، ج: 3، ص: 278.

(3) محمد بن أحمد بن محمد الكلبي (ت: 741 هـ)، كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، (لبنان: دار الكتاب العربي،

الخاتمة وأهم النتائج والتوصيات:

وفي ختام هذه الدراسة التي حاول الباحث فيها أن يميّز بين كلام الخلق الوارد في القرآن الكريم، وبين كلام الله -تعالى- في كتابه العزيز، وما تبع ذلك من تداخل بينهما أدى إلى لبس في فهم طبيعة كل كلام منهما، فإنه يمكن إجمال نتائج البحث على النحو الآتي:

أولاً: القرآن الكريم كله كلام الله -تعالى- من أوله إلى آخره، ولا ينسب منه شيء إلى أحد من المخلوقين، ولا حتى أقوالهم التي نقلها عنهم الرب -سبحانه- وأوردها في كتابه الكريم، حتى ولو تطابق شيء من كلامهم مع كلام الله، لأنّ كلامهم الذي أنشأوه تلاشى وانتهى في حينه، وهو مخلوق، له بداية ونهاية، والله -تعالى- نقل كلامهم بألفاظ من عنده ونظم من عنده تتوافق وعظمة القرآن الكريم، وهو صفة لله ليس بمخلوق.

ثانياً: كل الأدلة والبراهين تشير إلى أنّ كل ما ورد في القرآن الكريم من كلام أسنده الله -تعالى- لخلقه، فهو ينسب إليهم بالمعنى لا باللفظ.

ثالثاً: كل ما في القرآن الكريم جاء معجزاً، لأنّه من عند الله تعالى، ولا فضل فيه لمخلوق. وما أسنده الله -تعالى- من كلام لبعض خلقه في القرآن الكريم، فهو معجز كذلك، لا لأنّ مُنشأه مخلوق - الذي ضمّن الله -تعالى- كلامه في كتابه بالمعنى - وإنما لأنّه من كلام الله -تعالى- الذي أبدع ألفاظه بقدرته، فاللفظ والنظم لله -تعالى-، والمعنى لمن أنشأه ابتداءً، ولا يترتب على المعنى أيّ إعجاز.

رابعاً: لا غرابة ولا تناقض في تكرار اللفظ الواحد للكلام المحكي بصيغ متعددة. وما هذا الاختلاف الا لضرورة الإعجاز البياني في القرآن الكريم، الذي يحدده السياق في موضعه. ذلك لأنّ الكلام المحكي نقل بالمعنى، ثم تم التعبير عنه بألفاظ من عند الله -تعالى- تتناسب مع الصور البيانية المعجزة.

خامساً: ما ورد من حكم وفوائد مستمدة من الكلام المحكي في القرآن الكريم نعرضه على كتاب الله تعالى، فإن رده فهو باطل، وإن أقره أو سكت عنه فهو صحيح، والله -تعالى- أعلم.

أسأل الله -تعالى- القبول، والحمد لله رب العالمين

1403هـ (1983م)، ج: 2، ص: 122، وانظر أبو حفص عمر بن علي دمشقي ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1419 هـ - 1998م)، ط 1، ج: 11، ص: 133

قائمة المصادر والمراجع:

- الألوسي، محمود أبو الفضل، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (بيروت: دار إحياء التراث العربي)
- الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب بن جعفر بن القاسم أبو بكر، تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، (بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، 1987 م)، ط 1
- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي، صحيح البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، (بيروت: اليمامة - دار ابن كثير، 1407 هـ - 1987 م)، ط 3
- الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى السلمي، الجامع الصحيح سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، (بيروت: دار إحياء التراث العربي)
- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم الحراني (ت: 728 هـ)، مجموع الفتاوى، تحقيق: أنور الباز - عامر الجزار، (دار الوفاء، 1426 هـ، 2005 م)، ط 3
- الجرجاني، الإمام عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق: د. التنجي، (الناشر دار الكتاب العربي، 1415 هـ 1995 م)
- ابن حجر، أحمد بن علي أبو الفضل العسقلاني الشافعي (ت: 852 هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز ومحب الدين الخطيب، (دار الفكر، مصور عن الطبعة السلفية)
- ابو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي، تفسير البحر المحيط، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود و الشيخ علي محمد معوض، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1422 هـ - 2001 م)، ط 1
- الخالدي، صلاح، إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، (عمان: دار عمار، 2000 م)، ط 1
- الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي، تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، (بيروت: دار الفكر، 1399 هـ - 1979 م)
- الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي (388 هـ)، بيان إعجاز القرآن، مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن [سلسلة ذخائر العرب (16)]، تحقيق: محمد خلف الله، د. محمد ز غول سلام، (مصر: دار المعارف، 1976 م)، ط 3
- دراز، محمد عبد الله، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، (الدوحة: دار الثقافة، 1985 م)
- الرازي، الإمام فخر الدين محمد بن عمر التميمي الشافعي، مفاتيح الغيب، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1421 هـ - 2000 م)، ط 1
- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر .
- الراغب، الحسين بن محمد بن الفضل المعروف بالراغب الأصفهاني أبو القاسم، مفردات ألفاظ القرآن، (دمشق: دار القلم)
- الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، (بيروت: دار الفكر، 1996 م)، ط 1
- الزركشي، محمد بن بهادر بن عبد الله أبو عبد الله (ت: 794)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت: دار المعرفة، 1391 هـ)
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم القرآن، (بيروت: دار إحياء التراث العربي)

السامرائي، فاضل صالح، قصة سيدنا موسى من حيث أوجه التشابه والاختلاف كما وردت في سورتي النمل والقصص، موقع روائع البيان القرآني، <http://albayanalqurany.com/clause/%D9%82%D8%B5%D8%A9> - بتاريخ: 7/6/2017 م.

السامرائي، فاضل صالح، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، (عمان: دار عمار، 1423 هـ - 2003 م)، ط3. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت 911 هـ)، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: سعيد المنذوب، (لبنان: دار الفكر، 1416 هـ - 1996 م)

الشاطبي، إبراهيم بن موسى، الموافقات، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، (دار ابن عفان - 1417 هـ - 1997 م)، ط1.

الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني (ت: 1393 هـ)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، (بيروت: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، 1415 هـ، 1995 م)

ابن عادل، أبو حفص عمر بن علي الدمشقي الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1419 هـ - 1998 م)، ط1
بن عاشور، الشيخ محمد الطاهر، التحرير والتنوير، (تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع، 1997 م)

عباس، فضل، قصص القرآن الكريم، (عمان: دار النفائس، 1430 هـ - 2010 م)، ط3
عتر، نور الدين، منهج النقد في علوم الحديث، (سورية: دار الفكر دمشق، 1418 هـ - 1997 م)، ط3
ابن عجيبة، أحمد بن محمد بن المهدي الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس، البحر المديد، (بيروت: دار

الكتب العلمية، 2002 م - 1423 هـ)، ط2
القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين، (ت: 671 هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: هشام سمير البخاري، (الرياض: دار عالم الكتب، 1423 هـ - 2003 م)

القطان، مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، (القاهرة: مكتبة وهبة)، ط7.
قطب، سيد، في ظلال القرآن، (القاهرة: دار الشروق، 1423 هـ - 2003 م)، ط2
ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي (ت: 774 هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن

محمد سلامة، (دار طيبة للنشر والتوزيع، 1420 هـ - 1999 م)، ط2
الكلبي، محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي (ت: 741 هـ)، كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، (بيروت: دار الكتاب العربي، 1403 هـ - 1983 م)

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، مجلة البحوث الإسلامية، العدد: 43.

مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي)

بن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري، لسان العرب، (بيروت: دار صادر)، ط1.

Human Narrative Speech in the Noble Quran and its Relation to the Words of Allah

Ahmad Hussein Alshyyab

College of Arts - King Faisal University

Al-Ahsa - K.S.A.

Abstract:

This study dealt with the human narrative Speech contained in the Holy Quran and its relation to the words of Allah, in terms of attribution of speech: does it belong to Allah or to the speaker who initially said it? The study also investigates whether the narrative speech is a created entity or not, whether the narrative words were mentioned in the Qur'an in the form of content or in the form of words, and whether it is miraculous or not. Finally the study examines the possibility of benefiting from the wisdoms and benefits found in narrative speech and other related issues on the same subject. Therefore, this study came to clarify and reveal the confusion arising from the issue of overlapping between the narrative speech of some humans which is narrated in the Noble Quran with the words of Allah, the Exalted, the Majestic. The researcher has come to the result that narrative speeches in the Holy Quran are transmitted in the form of content only, while the Quranic language and style of wording is by Allah the Exalted, the Majestic, not by those who originally said it. Many of the resultant questions in this study have been thoroughly addressed.

Keywords: Narrative Speech, Words of Allah, Miracles, Benefits and Wisdoms.